

ساخرة من القدر واللقاء والأعداء وكل آلام الحياة، وتحت تأثير هاته الحالة النفسية نظمت "نشيد الجبار"، فذابت آلام نفسي، وشعرت بالحرية والانطلاق... وقد نظمتها في تلك الليلة، ولكن نفسي لم تنهض لكتابة ولو كلمة منها، وفي نحو الفجر نمت مرتاح النفس مطمئنا، وأفقت من الغد فلم أجدني قد نسيت كلمة واحدة، فكتبتها، ولم أزد عليها الا نحو بيت أو بيتين، وبعض تنقيحات وجدتها لا بد منها.

... والفرق بيني وبين نفسي الأولى أنني كنت أتقبل آلام الحياة، وأتحسس أشواكها بنفس ضارعة، وقلب دامع، أما الآن فإنني ألقاها ببسمة الساخر، ونظرة الحالم المنتشي بجمال الوجود، وقد أحسست بهذا التطور لما اصطفت بعين دراهم، ولعل جمال الطبيعة هناك قد كان له أكبر الأثر في تلوين نفسي بهذا اللون الجديد، كما أن مصيفي هذا العام، وما رأيت فيه من صور الطبيعة الرائعة قد أكمل هذا التطور ونماه، أما الآن فإني أشعر بانقلاب عميق في نفسي، قوي كل القوة، وقد عبرت عن هذا الانقلاب الروحي بقصيد "الصباح الجديد"، وقصيد "نشيد الجبار"، وهو صورة صادقة لنفسي في طورها الحاضر الجديد.

وهذه الرسالة من أهم رسائل الشابي كذلك، لأنها تحلل مرحلة نفسية وفنية من مراحل تطور الشاعر، وتضعها في إطار التحليل العلمي، فتتقضى الظواهر، وتبين الدوافع، وتخرج بنتيجة منطقية، يؤيدها التطبيق.